مجلة كلية
الدعوة الإسلامية
مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة

العدد
الخامس عشر
1998

1428 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1998 أفرنجي

من هو مترجم النّصّ الأدبي وما هي خصائصه؟

جمال محمد جابر
كلّية التربية ـ الزاوية

استناداً على أهمية الترجمة في حياتنا وتقديراً لصعوبات إنجازها، خاصة فيما يتعلّق بنصوص مثل النص الأدبي، فإن مهمة المترجم عامة مهمة ليست سهلة، بل لا تخلو من مسؤوليات جِسام يضطلع بها المترجم بغية تحقيق هدف الترجمة، وتنبع تلك المسؤوليات من سلطة الترجمة وفعاليتها، وهو أمر تثبته قصة المبرق الياباني الذي أسيئت ترجمته، فكانت النتيجة دمار هيروشيما ومن فيها[1]. وتاريخ البشرية مليء بمثل هذه الحوادث المأساوية والمشكلات التي كان سوء الإبلاغ فيها ـ عن طريق الترجمة أو غيرها ـ الشرارة التي أوقدت

(1) See: Savory, The Art of Translation, p. 183, 184.

اللهب. وانطلاقاً من أهمية الترجمة وخطورتها أحيطت عملية النقل والقائمون بها بهالة من الشك والخوف والحذر أحياناً، والإلهام والموهبة والعبقرية والجرأة أحياناً أخرى، وهو ما تعكسه أقوال القائلين مثل: المترجم خائن، والمترجم صيّاد اللآلىء. وإن اختلفت الآراء قديماً حول سر الترجمة والمترجمين، فهي تتفق الآن تقريباً على اعتبار الترجمة عامة والترجمة الأَدبية خاصة كالعبقرية؛ التي هي مزيج من إلهام وكدّ، غير أن نسبة الإلهام فيها لا تتجاوز الاثنين بالمائة، على حين تكون نسبة الكدّ والعرق ثمانية وتسعين بالمائة[2]. وتشبه مهمة المترجم في نقل معنى النص الأَدبي من لغة إلى أخرى، مهمة من يمسك بكائن حي على إحدى ضفتي نهر عميق، وعليه أن يقوده حياً سليماً إلى الضفة الأخرى[3]، فلولا الذكاء والكدّ والمثابرة والجلد لما تحقق له كل ذلك.

وترجمة الآثار الأَدبية التي تتم وفق منهج الترجمة الدلالية ويقوم بها مترجم واحد هي «فن راقٍ لا يتهيأ لكل واحد الأخذ بأسبابه، وأسبابه دونها نصب وإعياء. وقد تبدو الترجمة [الأَدبية] للوهلة الأولى كالبحر الساكن يغري بركوبه، حتى إذا استوى المبحر على سطحه جنت لجته، واستحالت وداعته المغرية إلى غضب واضطرام، ومن ثم إذا تقحمه الأحمق المتهور، الجاهل بغوره، لا يلبث أن يغيب في قراره»[4]، لذلك فهي فن لا يقوم به إلاّ النخبة ممن توافرت لهم الأسباب واكتملت لهم العدّة. ومن اقتحم نقل الآثار الأَدبية دون توافر الأسباب واكتمال العدّة، كان كالمصوّر الفاشل الذي أراد رسم امرأة حسناء، فجاءت صورتها شوهاء ناقصة، فهي أقرب إلى القبح منها إلى الجمال[5].

---

(2) انظر: شوكت يوسف: هذا العدد الخاص بالترجمة، الموقف الأدبي، السنة 17، العددان 202، 203، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، شباط ـ آذار 1988، ص: 13.

(3) سامية أسعد: ترجمة النص الأَدبي، عالم الفكر، مجلد 19، العدد 4، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت، يناير ـ فبراير ـ مارس، 1989، ص: 19، نقلاً عن:
Zins, Actes des Premieres assies de la traduction litteraire, Arles, 1984, p. 54.

(4) الصديق بشير نصر: أربع مقدّمات في الترجمة الأَدبية ونقد لترجمة التليسي لآثار طاغور الشعرية، (مقالات مخطوطة) ص: 1.

(5) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

ذلك هو حال الكثيرين من القاصرين الذين أجروا أقلامهم دون اعتبار لما أراد الواضعون، فتصرفوا في المعنى بين زيادة ونقص، ففسد النقل وضاع الأصل، ومنهم المشرّع الذي بخل بدقائق للتثبت من قصد الكاتب ومغزاه، فنقل ما تصوّر له لأول وهلة فانعكس عليه القصد والمعنى[6].

وتتمثّل تلك الأسباب والعدّة في خصائص جوهرية يجب توافرها في مترجم النص الأَدبي، فمنها خصائص عامة مكتسبة، ومنها خصائص ذاتية، ومنها متطلبات أخرى قد لا تكتمل مهمة المترجم إلاّ بها.

1 ـ الخصائص العامة

1 ـ 1 ـ المقدرة اللغوية:

يقول الجاحظ: «ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية»[7].

يتضح من قول الجاحظ، وأقوال غيره من منظّري الترجمة وممارسيها، أن المقدرة اللغوية شرط أساسي للمترجم عامة، على أن تفوق هذه المقدرة القدر المعتاد من معرفة اللغات عند عامة المتعلمين، بحيث يتميز المترجم عن غيره بقدرته على استخدام تلك المقدرة اللغوية في نقل الآثار وما تتضمنه عملية النقل تلك من إيضاح للغوامض وفك للرموز وتحديد للمعاني وظلالها. ويقصد بالمقدرة اللغوية هنا معرفة المترجم للغة النص موضوع الترجمة وكذلك اللغة المستهدفة، معرفة كافية وإتقانه إياهما، كتابة وقراءة وحديثاً، إتقاناً تاماً. ويفضّل لمترجم النصوص عامة، ومترجم النصوص الأَدبية خاصة أن يترجم إلى لغة الاستعمال الطبيعي عنده Language of Habitual Use وهي غالباً ما تكون لغته الأم Mother Tongue، لأن ذلك هو السبيل الوحيد أمامه لكي تكون ترجمته طبيعية ودقيقة وعلى أكبر قدر ممكن من التأثيرية Effectiveness. وهذا لا ينفي

---

(6) انظر: سليمان البستاني: إلياذة هوميروس، 1: 74.

(7) الجاحظ: الحيوان، 1: 55.

وجود مترجمين ينقلون عن لغاتهم إلى لغات غيرهم، ويقدّمون خدمات جليلة لمن هم بحاجة إليها[8]. كما ينبغي على مترجم النص الأدبي أن يكون ذا إحساس بالغ بدقائق اللغتين مع كفاءة خاصة في استخدام اللغة المستهدفة في الكتابة استخداماً بارعاً، والاستفادة من مصادرها استفادة قصوى، لأنها هي التي ستكون وسيلة إنتاجه. وبعبارة أخرى يجب أن تكون معرفته باللغة الأجنبية معرفة نقدية Critical، على حين تكون معرفته بلغة الأم، أو لغة الاستعمال الطبيعي عنده، معرفة عملية Practical [9]. وإذا كان على المترجم أن يكون ثنائي اللغة Bilingual، وإذا كانت اللغة لا تنفصل انفصالاً كاملاً عن الثقافة، فإن الدعوة إلى أن يكون مترجم النصوص الأدبية ثنائي الثقافة Bicultural تصبح دعوة ذات أهمية قصوى، لأن الأدب تجسيد للثقافة ونقل لها، ولا يتحقق انتقال الثقافة عبر ترجمة الأدب إلاّ إذا كان المترجم عارفاً بدقائق تلك الثقافة وجوانبها، لأن تلك المعرفة باللغة وثقافتها هي التي تساعده على فهم النص فهماً كاملاً، كما أن معرفته بلغته وثقافته تساعده على نقل معنى النص.

وتتلخص معرفة لغة النص الأصلية وثقافتها في تمييز ألفاظ الأثر الأدبي وخصائصها بوصفها وحدات معجمية Lexical Units، بما في ذلك تنوّع المعاني التي تحملها.

يأتي بعد ذلك تقدير مستوى أسلوب الأثر الأدبي الذي يدل عليه اختيار المؤلف كلمات معينة، وبناؤه جملاً بطريقة خاصة، وكذلك طريقته في التعبير. وتحديد مستوى الأسلوب يقود المترجم إلى تحديد أهمية ذلك عند مؤلف النص وما يحمله من أثر في المعنى. ويساعد الإلمام التام بلغة النص الأصلية على تحديد الكلمات التي لها كلمات تقابلها في اللغة المستهدفة دون أن تطابقها في المعنى، وهي ما يسمى بالصديقات المزيفة False Friends، خاصة فيما يتعلّق بالكلمات المشبعة بالدلالات الهامشية.

كما يساعد المترجم على فهم البنية القواعدية Grammatical Structure

---

(8) See: Newmark, A Textbook of Translation, p.3.

(9) See: Savory, The Art of Translation. p. 35.

للغة النص الأصلية وتحديد الكلمات المصرّفة والمشتقة وما توحي به من تضمينات Implications تؤثّر في معنى الأثر الأَدبي، وفهم البنية القواعدية يساعد على فهم مغزى المؤلِّف من نظمه غير المألوف للكلام، وتحديد مواطن إبراز أهمية العناصر اللغوية أَو نغمة النص.

وأخيراً يساعد الإلمام بلغة النص الأصلية على ألفة الحياة وفهم الثقافة المتعلقتين بمستعملي تلك اللغة، ومن ثم فهم ما يتضمنه النص من تلميحات وإشارات خاصة قد تكون مرتبطة ببلد المؤلِّف أَو ثقافته. وكل ذلك يؤهّل المترجم لتحليل النص الأَدبي وفهم معانيه[10].

تلك هي أبرز الفوائد التي يحقّقها المترجم نتيجة إلمامه بلغة النص الأصلية التي تضمن أن لا يكون عمله ناقصاً مشوهاً كما حدث لحافظ إبراهيم الذي نقل رواية البؤساء لڤيكتور هيجو Victor Hugo، وهو لا يجيد اللغة الفرنسية فجاء نصه تلخيصاً لا ترجمة كاملة[11].

ولعلّ السبب نفسه هو الذي جعل مي زيادة تقدّم ترجمة غير دقيقة لرواية الحب اللاتّيني لمولر، التي تحمل عنوان (ابتسامات ودموع)[12]، وكذلك الحال في ترجمات مصطفى المنفلوطي الذي لم يكن على علم أَو دراية باللغة الفرنسية، بل كانت الروايات تسرد له سرداً من قبل شخص آخر ويقوم هو بوضعها في لغة يختارها دون اعتبار للغة المؤلِّف الأصلي وقصده[13].

أما معرفة اللغة المستهدفة وثقافتها فتساعد مترجم النص الأَدبي على اختيار الكلمات اختياراً مناسباً، وتمييز الفروق بين معاني الكلمات والتعابير الاصطلاحية شبه المترادفة، والفروق في مستويات الاستعمال، كالاستعمال الرسمي Formal Use والاستعمال العادي Normal Use والاستعمال الودّي

---

(10) See: Sykes, John, B. The Intellectual Tools Employed, in Picken, ed, The Translator's Handbook, p. 35, 36.

(11) انظر: محمّد عبد الغني حسن: فن الترجمة في الأَدب العربي الحديث، ص: 61.

(12) انظر: ميخائيل نعيمة: الغربال، ص: 179.

(13) انظر: عمر فروخ: عبقرية اللغة العربية، ص: 291.

Intimate Use، والفروق في مجالات الاستعمال؛ كالمجال الفنّي والمجال الأَدبي والمجال الديني وغيرها. كما يساعد على اختيار الصيغ التصريفية Forms of Inflection للأسماء والأفعال والصفات وغيرها، وكذلك نقل الصور البيانية ودلالاتها الهامشية.

ويسهّل إتقان اللغة المستهدفة على المترجم مهمة اختيار نظم الكلام المناسب، وتمييز النغمة المواتية، وتحديد المواطن التي يلزم فيها التركيز على عناصر لغوية معيّنة، وإبراز مقدار الانحراف الأسلوبي الذي قصده مؤلِّف النص الأصلي. وتبرز أهمية إتقان اللغة المستهدفة في اختيار علامات الترقيم Punctuation Marks المناسبة عند الترجمة، وإدراك الأثر الناتج عن تغيير تلك العلامات في معنى النص الأصلي، وكذلك تحديد نوعية اللغة ومستواها عموماً بما يتناسب ونوعية لغة النص الأصلي ومستواها، من حيث الفصاحة والقِدم والحداثة والتعقيد والبساطة، حتى لا نجد شخصية من شخصيات شكسبير أَو تشارلز ديكنز يغازل حبيبته وكأنه شخصية من شخصيات الريف المصري، أَو السوري في روايات النصف الثاني من القرن العشرين، أَو نجد شاعراً من شعراء العصر الحديث في أوروبا يتكلم لغة عنترة العبسي أَو الحطيئة.

كما يفيد إلمام المترجم باللغة المستهدفة في التذكّر السريع لما يحتاج إليه من مخزونه من كل ما يتعلق باللغة وثقافتها، الأمر الذي يوفّر عليه الجهد والوقت أثناء قيامه بعملية الترجمة، خاصة فيما يتعلّق بمشكلات معينة تكون متكررة في الأثر الأَدبي نفسه أَو في غيره من الآثار التي قام المترجم بنقلها[14].

وأخيراً يساعد الإلمام باللغة المستهدفة في وضع الشروح المناسبة التي يحتاج إليها قارىء الترجمة.

تلك هي أبرز جوانب أهمية الإلمام التام باللغة المستهدفة التي تكون في الغالب اللغة الأم أَو لغة الاستعمال الطبيعي، وإذا ما كانت نقطة ضعف المترجم

(14) See: Sykes, John B., The Intellectual Tools employed, in Picken, ed., The Translator's Handbook, p. 37, 38.

هي اللغة المستهدفة، كان عجزه أبْين وعمله إلى التشويه أقرب. ولعلّ كثيراً من التهم الموجهة إلى اللغة راجعة إلى عجز المترجمين عن إدراك كنه لغاتهم وسبر أغوارها، وبالنظر إلى أن الأَدب مادته اللغة، وبالنظر إلى العلاقة القائمة بين اللغة واللسانيات، فقد يُطرح سؤال عن مدى احتياج مترجم النص الأَدبي للعلم باللسانيات وتفاصيلها، وإجابة عن هذا السؤال يرى الكاتب أن مترجم النص الأَدبي لا يحتاج في أداء عمله اللسانيات احتياجاً مباشراً، وهو ما تثبته أعداد لا حصر لها من الترجمات التي قام بها مترجمون قبل ظهور اللسانيات قديماً، أَو قام بها مترجمون لا إلمام لهم باللسانيات حديثاً. غير أن العلم باللسانيات يزيد المترجم فائدة ولا ينقصه، خاصة فيما يتعلّق بتنظير عملية الترجمة. ولعل أبرز فرع من فروع اللسانيات التي قد يحتاج إليها المترجم عامة ومترجم النصوص الأَدبية خاصة هو علم التأثيل Etymology أَو علم أصول الكلمات، لأنّه يساعده على تقدير معاني كلمات مؤلِّف النص من حيث كونها مستجدة Neologism أَو شائعة Common أَو مهجورة Archaism. كما يفيده في اكتشاف المعاني المركزية والمعاني الثانوية للكلمات في نص أدبي كتب في فترة زمنية سابقة.

ويساعد العلم بأصول الكلمات على اكتشاف انبعاث معانٍ سابقة للكلمات وإحيائها، وكذلك فهم عملية تطوّر اللغات والثقافات في ضوء النصوص الأَدبية التي تنقل إليها.

وأخيراً يجد المترجم الملم بعلم التأثيل نفسه على دراية عملية بالعلاقات التي تربط الكلمات بعضها ببعض، فضلاً عن درايته بتطوّر المعاني[15].

1 ـ 2 ـ الإلمام بالأَدب وتذوّقه:

إذا كانت معرفة موضوع النّص خاصيّة أساسية وشرطاً ضرورياً للمترجم عامة، فإن الإلمام بالأَدب وتذوقه هي الخاصيّة عينها والشرط نفسه لمترجم النّص الأَدبي. ذلك لأن ترجمة النّص الأَدبي تحتاج من القائم بها إلى أن يكون متقناً للغة معينة هي لغة الأَدب، ومالكاً للإحساس بجمال الأَدب متذوقاً

(15) See: Newmark, A Textbook of Translation, p. 182.

إياه[16]، ولا يتم له ذلك إلاّ بالإكثار من قراءة الأَدب شعراً ونثراً، لأن فيها تغذية لفكره ولغته وتنمية لذوقه وإحساسه بمواطن الجمال فيه. ولا ينبغي أن يقتصر المترجم على قراءة آثار مؤلّف معين أَو عصر محدّد أَو بلد واحد، بل عليه أن يطلق العنان لنفسه في التهام كل ما تقع عليه يده وتجد نفسه ميلاً إليه، لأن في اختلاف الأدباء والعصور والأمصار إغناء لمخزون القارىء وتنمية لذوقه. فقراءة معلقات العرب، مثلاً، وأعمال فرجيل وهوميروس ودانتي وجوته وشكسبير وملتون Milton ولورنس وجين أوستن Jane Austin وتشارلز ديكنز وتوماس هاردي ونجيب محفوظ وتولستوي وغيرهم من الروائيين والشعراء وكتّاب المسرحيات، من شأنها أن تزوّد المترجم بنماذج فعلية من المعاني الخاصة، والانحرافات الأسلوبية والصور البيانية والدلالات الهامشية والإشارات الثقافية. على أن قدراً معيناً من اهتمام المترجم بالأَدب يجب أن يخصّص لأدب أمته ولغته، لأن سر براعته يتعزز بإتقانه لغة أدبه وأساليبها ومعايير الجمال فيه. فإذا لم يكن ملماً بأدب أمّته متذوقاً إياه جاء نقله ناقصاً مشوهاً؛ لأنه ببساطة فاقد للمعايير التي تحكم إنتاجه في اللغة المستهدفة، إذا كانت هي لغته الأم أَو لغة الاستعمال الطبيعي عنده.

أما فقدان الإلمام بالأَدب المنقول وتذوقه فقد يؤدي إلى الإحجام عن نقله، وهو أحد أسباب إحجام العرب عن نقل الشعر الأجنبي خلال حركة الترجمة التي ازدهرت في العصر العباسي، فقد كان المترجمون لا يتذوقون تلك الأعمال الشعرية، ولا يحسّون بجمالها وقيمتها الفنية في لغاتها الأصلية، فما بالك لو نقلت مشوّهة إلى العربية[17]. فضلاً عن ذلك، فإن الإلمام بالأَدب يعني الإلمام بثقافة الأمة أَو الأمم المنتجة لذلك الأَدب، لأن ازدواجية الثقافة تابع لازدواجية اللغة، وهما شرطان أساسيان لمترجم النص الأَدبي، لكون لغة الأثر الأَدبي وثقافته من العوامل المهمّة المؤثّرة في عملية الترجمة.

وقراءة الأَدب كذلك تزّود المترجم بمعلومات عامة ومتنوّعة، وأخرى

---

(16) See: Delisle, Translation: An Interpretive Approach, p. 7.

(17) انظر: محمّد عبد الغني حسن: فن الترجمة في الأَدب العربي الحديث، ص: 105، 106.

خاصة بشاعر معين أَو أديب محدّد وما يتعلّق به وببلده وأفكاره وأسلوبه. أما فيما يتعلق بالأَدب عامة، فإن قراءته تزود المترجم بفهم دقيق لطبيعة النص الأَدبي وحقيقته، وظروف الإنتاج الفني ومعاييره العامة؛ وهي ما يتعلّق بالأَدب عامة، ومعاييره الخاصة؛ وهي ما يتعلّق بجنس أدبي معين، أَو زمن محدّد.

وإذا كان على مترجم النص الأَدبي أن يكون قادراً على تقييم أسلوب النص الأَدبي قبل ترجمته، فإن الإلمام بالأدب وتذوّقه هما من أبرز وسائله في ذلك.

والإلمام بتاريخ الأَدب وثقافته يساعدان المترجم كذلك في عملية اختيار الآثار الأَدبية للترجمة، وفي تقديم التوسيط النقدي المناسب لما يقوم بنقله منها[18].

ولا يعني شرط الإلمام بالأَدب وتذوقه أن يكون المترجم من الاختصاصيين في مجال الأَدب وأن ترجمته حكر عليهم، بل قد يقوم بها آخرون من رجال العلم، كما حدث فعلاً مع الدكتور أَحمد زكي أَبو شادي، الذي قدّم ترجمات أدبية رائعة[19]، مع أنه كان طبيباً في اختصاصه العلمي.

كما أن اهتمام المترجم بالأَدب عامة وتذوقه يجب أن يعززهما إلمام خاص بالجنس الأَدبي موضوع الترجمة، لأن شكل النص الأَدبي من الخصائص المهمة[20] التي تميزه من منظور ترجمي عن غيره من النصوص، كما أن النص الأَدبي نفسه متنوّع من منظور ترجمي، ولكل نوع خصائصه التي تميّزه.

ذلك لأن فهم طبيعة العمل وحقيقته أساس لإتقانه، فلا ينبغي أن يترجم الشعر من يجهله، ولا أن يترجم الرواية أَو المسرحية من لا يفهمها، فلو لم يكن

---

(18) انظر: عبده عبود: الرواية الألمانية الحديثة على ضوء تلقيها في العالم العربي، عالم الفكر، مجلد 19، عدد4، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت، يناير ـ فبراير ـ مارس، 1989، ص: 133.

(19) انظر: محمّد عبد الغني حسن: فن الترجمة في الأدب العربي الحديث، ص: 28.

(20) See: Grahm, John. D, Checking, Revision and Editing, in Picken, ed. The Translator's Handbook, p. 60.

سليمان البستاني عارفاً بالشعر متقناً إياه لما تهيأ له نقل إلياذة هوميروس شعراً، ولو لم يكن منير البعلبكي عارفاً بطبيعة الرواية وخصائصها لما جاز له نقل ما نقل من روائع الأدب الإنجليزي مثل رواية Jane Eyre لشارلوت برونتي Charlotte Bronté أو Oliver Twist لتشارلز ديكنز.

والإلمام بالأَدب يقود المترجم إلى الإلمام بجوانب من النقد الأَدبي، لكون المترجم مطلوباً منه أن يكون قادراً على تقويم الآثار الأَدبية من حيث قيمتها الأَدبية والموضوعية[21]، لأن النقد الأَدبي يُعْنى بدراسة الآثار الأَدبية ومؤلفيها بقصد توضيحها وتفسيرها وتقويمها[22].

1 ـ 3 ـ الثقافة الواسعة:

إذا كان الأَدب تجسيداً لحياة الإنسان عامة، وكشفاً لجوانبها المختلفة، فإن فهمه يحتاج إلى ثقافة واسعة وعلم بحقائق تلك الحياة ووقائعها، وإلمام بأصولها ودقائقها. ويستوي في ذلك الدارس والناقد والمترجم. ويمكن تقسيم ثقافة مترجم النص الأَدبي إلى ثقافة عامة وأخرى خاصة.

أمّا ثقافته العامة فهي كل ما ينبغي عليه معرفته والإلمام به من حقائق عامة تتعلق بطبيعة الكون وأسراره عامة، وطبيعة الإنسان والحيوان والجماد خاصة، ويتحقق الإلمام بجوانب من هذه الحقائق العامة عن طريق اطلاع المترجم على مصادر العلوم البحتة الطبيعية؛ كالرياضيات والهندسة والطب والفلك والفيزياء والجغرافيا، ومصادر العلوم الاجتماعية والإنسانية؛ كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والنقد الأَدبي والأديان والتاريخ والفنون، وغيرها. فكما يشير تيسير شيخ الأرض، فإن مترجم النص الأَدبي لا بد أن يواجه ثقافة المؤلِّف العامة التي يحملها مؤلَّفه بثقافة مماثلة تمكّنه من استيعابها ونقلها، وإلاّ أخفق في نيل مطلوبه. وثقافة المترجم العامة لا تعدّه لنقل أثر أدبي معيّن، بل تؤهله لنقل كل الآثار الأَدبية التي يجيد لغاتها ويلم بثقافات منتجيها.

---

(21) See: Newmark, Approaches to Translation, p. 6.

(22) انظر: مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، ص: 290.

ولا يمكن للمترجم أن يظل على علم بهذه الحقائق إلاّ إذا داوم على الاطلاع والبحث، والتركيز في الفهم[23].

وإهمال مترجم النص الأَدبي هذا الجانب من الثقافة يجعله أحياناً قاصراً عن فهم دلالات الألفاظ والعبارات والمقاطع المتعلّقة بميول الإنسان وعواطفه، أَو غرائز الحيوان وطبائعه، أَو خصائص النبات وفصائله، أَو عناصر المادة وحالاتها، أَو ما إلى ذلك مما تكتظّ به أشعار الشعراء ومصنفات الأدباء. وإذا عجز المترجم عن فهم ذلك أخفق من ثم في تأويله ونقل معناه.

أمّا ثقافة المترجم الخاصة فهي كل ما يتعلّق بمؤلّف النص الأَدبي وأصله وبلده واتجاهه الأَدبي والعقائدي، وجوانب من حياته المنعكسة في أدبه، خاصة فيما يتعلق بالتوسيط النقدي، فضلاً عن أفكاره وأسلوبه، وكل ما يحتاج إليه المترجم لتحليل الأثر الأَدبي وتحديد مغزاه، ثم تأويله ونقل معناه[24].

وفضلاً عن أهمية ثقافة المترجم، بشقيها، في فهم النص ونقل معناه، فهي تساعده على وضع التفسيرات والشروح التي يحتاج إليها القارىء لفهم النص، وكذلك في تقديم التوسيط النقدي المناسب للأثر الأَدبي، لضمان استقباله الاستقبال الأمثل.

1 ـ 4 ـ القدرة على الإنشاء الأَدبي:

تتطلب الترجمة أساساً أن يكون المترجم قادراً على التنقل بسهولة بين عمليتين أساسيتين من عمليات الترجمة Translation Processes؛ هما عمليتا الفهم Comprehension والصياغة Formulation.

وعملية الفهم تشتمل على عملية أخرى هي عملية التأويل، وأمّا عملية الصياغة فتشتمل على عملية أخرى هي عملية إعادة التكوين Recreation [25].

---

(23) انظر: تيسير شيخ الأرض: الترجمة والتواصل، الموقف الأَدبي، السنة 17، العددان 202 و203، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، شباط ـ آذار 1988، ص: 48.

(24) انظر: المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(25) See: Newmark, Approaches to Translation, p. 17.

وعملية إعادة التكوين هذه لا تتطلب من المترجم أن يكون عارفاً بلغة النص وموضوعه فقط، بل أن يكون قادراً على الكتابة ببراعة وإتقان ووضوح في لغته، مستغلاً كل إمكاناتها ومواردها[26]. وإذا كانت تلك هي الحال في الترجمة عامة، فما بالك بترجمة النص الأدبي التي يطلب فيها من المترجم أن ينقل معنى النص كاملاً من خلال المحافظة على شكله ومضمونه، حتى تكون الترجمة نصاً أدبياً قائماً بذاته في اللغة المستهدفة؟ فلا شك أن مترجماً فاقداً لقدرة الإنشاء الأدبي لن يستطيع نقل معنى النص الأدبي وإعادة إنتاجه، لأن الأدب «روح واستعداد وسليقة، وهذه أشياء تستند إلى طبع في النفس، ولا تُكتسب بالدراسة والحفظ فقط»[27]. فإن لم يكن مترجم النص الأدبي كاتباً، فيجب على الأقل أن يمتلك رؤية الكاتب وإدراكه، وأن يكون قادراً على الحلول محل المؤلف الأصلي من خلال كلماته وإحساسه وردود فعله[28]. لذلك كله جاء القول بأن أفضل المترجمين من كان مؤلفاً يضع المصنفات الأصيلة في نفس صنف الترجمة[29].

وهذا القول يقود إلى السؤال المتواتر؛ وهو هل يمكن لغير الشاعر أن يترجم الشعر؟ والإجابة عن هذا السؤال تختلف باختلاف نوع الشعر ومادته، ومكانة الشاعر وشهرته. وإن قيل إن بعض الأشعار فقط تتطلب من مترجمها أن يكون شاعراً، فإن مترجم الشعر عامة يجب أن لا ينقل خاصية الإحساس الشعري والقدرة على الإنشاء الأدبي.

1 ـ 5 ـ الخبرة في مجال الترجمة:

من الطبيعي جداً أن يتصدى لترجمة الأدب من كانت له خبرة سابقة في

---

(26) See: Newmark, A Textbook of Translation, p. 3.

(27) محمّد عوض محمّد: فن الترجمة، ص: 32.

(28) انظر: سامية أسعد: ترجمة النص الأدبي، عالم الفكر، مجلد 19، العدد 4، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت، يناير ـ فبراير ـ مارس 1989، ص21، نقلاً عن:
Actes de premieres assise de la traduction Litteraire, Arles, 1984, p. 134.

(29) See: Savory, The Art of Translation, p. 138.

مجال الترجمة عامة ومجال الترجمة الأَدبية خاصة. ذلك لأن الإلمام بأساسيات ممارسة أي علم أَو فن شرط لإتقانه. وتكتسب هذه الخبرة عن طريق ممارسة الترجمة فعلياً وباستمرار، وقراءة الترجمات ونقدها لتبيّن مواطن القوة والضعف فيها.

أمّا ممارسة الترجمة فلا تؤتي أُكلها تاماً إلاّ إذا استفاد المترجم من ملاحظات مراجعين لترجمته، ذلك لأن المراجع يمثل عمل الناقد المتفحص، فضلاً عن كون المراجع ذا باع في الترجمة أطول.

وحبذا لو كان المراجع هو المؤلِّف الأصلي للأثر الأَدبي، أَو كان أديباً يجيد لغة الترجمة ويلم بثقافتها. وقراءة الترجمات ونقدها يجب أن يتركزا على ترجمات الجنس الأَدبي الذي يميل المترجم إلى نقله، لأن ما تميل إليه النفس يكون عادة إلى الفكر أقرب وبالذاكرة ألصق، كما ينبغي على المترجم أن يستفيد من نقد النقّاد لترجمات غيره، لأن في ذلك إظهاراً لما ينبغي على المترجم أن يقلّده وما ينبغي عليه نبذه وتجنبه.

أمّا الإلمام بجوانب من نظرية الترجمة فمن شأنه أن يعزّز خبرة المترجم وقدرته من خلال فهم طبيعة الترجمة الأَدبية وأهدافها وكيفية حل مشكلات لغوية أَو بلاغية معينة. كما يساعد الإلمام بنظرية الترجمة على تطوير منهج الترجمة ونقدها وضمان نجاح استقبال الترجمات. غير أن نظرية الترجمة وحدها لا تضمن جعل الإنسان مترجماً.

2 ـ الخصائص الذاتية : Personal Qualities

هي خصائص تنبع من ذات المترجم وتكوينه الشخصي، ويعمل القصد والخبرة على تعزيزها لتكون دعامات أساسية يرتكز عليها نجاح المترجم في عمله. ولعلّ أول هذه الخصائص هو الذكاء الذي هو شرط أساسي لكل العمليات الفكرية، ثم الشجاعة وعدم التهيب؛ وهما أمران لولاهما لساد تردد المترجمين قديماً وحديثاً، ولما نقلت آثار أدبية مهمة مثل أعمال هوميروس وشكسبير وميلتون وغيرهم. ولعل في «اقتحام صعاب الأمور من الفضل ما يكاد

يوازي فضل التغلب عليها. وليس مغامر خاض المعامع فسقط أقل ثواباً ممن خاضها وفاز بالغلبة وبروحه»[30].

بعد ذلك تأتي خصيصة الصدق في الاختيار والعمل، فلا ينبغي للمترجم عامة أن يخلو من الصدق مع النفس والإخلاص في العمل، حتى يكون عمله إلى الدقة والكمال أقرب، ذلك لأن صدق المؤلّف إذا لم يقابله اقتناع وصدق من طرف المترجم ضاع جوهر الأثر الأَدبي وفائدته[31]. واختيار الأثر الأَدبي وفهم قصد مؤلّفه يتطلبان وجود خصيصة أخرى هي الحس النقدي الذي لولاه يكون المترجم كحاطب ليل لا يدري ما يجمع. أما خصيصة الصبر وطول النفس فإن مترجم النّص الأَدبي أحوج إليها من غيره، ذلك لأن معظم الأعمال الأَدبية تكون معقّدة الأسلوب كبيرة الحجم، فإن لم يكن المترجم طويل الأناة صبوراً فَقَدَ الحماس والاهتمام بالترجمة، خاصة أن ترجمة النصوص الأَدبية لا تدرّ أرباحاً مادية مغرية على القائمين بها «في وقت تكفلت فيه الآلة برفع المعاناة عن الناس على حساب الصنعة والفن والذوق والملكة والموهبة»[32].

يلي ذلك التواضع والإحساس بالمسؤولية، والثانية شرط للأولى، لأن إحساس المترجم بالمسؤولية يجعله قادراً على تحديد مواضع ضعفه والعمل على تحسينها، مدفوعاً في ذلك بصدقه وإخلاصه في العمل. ولعل فقدان التواضع والإحساس بالمسؤولية هما المسؤولان عن حالة الاضطراب والفوضى التي سادت حركة نقل الآثار الأَدبية مع بداية النهضة بالترجمة في البلدان العربية إبّان هذا القرن، فقد عمد بعض المترجمين إلى نقل قصص مثيرة لغريزة الجنس عند الشباب، ولعدم قدرتهم على ترجمة الآثار الأَدبية أساساً جاءت نقولهم مشوّهة، فلم يراعوا الأخلاق والقِيَم ولا الدقّة والأمانة، بل كان همّهم إرضاء نوع معيّن من

---

(30) ميخائيل نعيمة: الغربال، ص: 196.

(31) انظر: تيسير شيخ الأرض: الترجمة والتواصل، الموقف الأَدبي، السنة 17، العددان 202 و203، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، شباط ـ آذار 1988، ص: 50، 51.

(32) عبد الوهّاب العشماي: أزمة الترجمة إلى العربية، العربي، العدد 295، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت، يونيو 1983، ص: 107.

القرّاء، وخدمة أغراضهم التجارية، ولو كان على حساب القِيَم العامة[33].

وأخيراً يجب أن يكون مترجم النص الأَدبي قادراً على التحليل والتأويل، لأن الترجمة عامة تفترض فهم النص قبل إعادة صياغته، فلا تتم عملية الفهم إلاّ من خلال الغوص في الأثر الأَدبي ذاته، وتحليله وتحديد العلائق التي تنتظم أجزاءه ومعانيه، مثل علاقة الألفاظ بالمعاني، وعلاقة الألفاظ بقصد المؤلِّف، وعلاقة الشكل بالمضمون عامة.

3 ـ خصائص أخرى:

إضافة إلى وجوب توافر الخصائص العامة والذاتية فيمن يتصدى لترجمة الآثار الأَدبية، فإنه مطلوب منه أن يراعي خصائص أخرى قد لا يكتمل عمله إلاّ بها. ومن هذه الخصائص توفّر الموضوعية في المترجم أثناء قيامه بنقل معنى النص. وتأتي أهمية الموضوعية في الترجمة من ارتباط الترجمة بعملية قراءة النص وتأويله من قبل المترجم الذي ستنعكس قراءته للنص في ترجمته إيّاه، وهو ما جعل المترجم قارئاً غير عادي لوجوب احتراسه من تدخّل عقيدته أو ثقافته في تأويل الأثر الأَدبي المراد نقله[34]. وموضوعية المترجم مرتبطة أيضاً بموقف المترجم من النص ومؤلِّفه، وهو ما يوجب على مترجم النص الأَدبي أن يكون واعياً بأسباب اختياره النص للترجمة، ومحايداً في نقل معنى النص دون زيادة فيه أو نقص منه. ولعل أبرز علامة على موضوعية مترجم ما هي نزاهته في نقل ما يتعارض ومعتقداته وثقافته وموقفه. ومن هذه الخصائص أيضاً أن شعوراً من التعاطف والميل نحو مؤلِّف النص يجب أن يتوفر لدى مترجم النصوص الأَدبية، الشعرية منها والنثرية، لأن فقدان ذلك الشعور من شأنه أن يثني المترجم عن عزمه[35]، وألا يتصدى المترجم لنقل أثر أدبي لا يستسيغه[36]، لأن في ذلك تحدياً لنزاهته وموضوعيته.

---

(33) انظر: أنور الجندي: أدب المرأة العربية ـ القصة العربية المعاصرة وتطور الترجمة، مطبعة الرسالة، مصر، (د. ت)، ص: 4 من تطوّر الترجمة.

(34) See: Hatim and Mason, Discourse and the Translator, p. 224.

(35) See: Savory, The Art of Translation, p. 34.

(36) See: Newmark, A Textbook of Translation, p. 36.

ومن الخصائص الأخرى أن يعمل مترجم النّص الأَدبي انطلاقاً من تقمّصه Empathy لشخصية المؤلِّف من خلال نصه حتى يكون قادراً على محاكاته وتمثيل أفكاره وأسلوبه[37].

ذلك لأن تقمص شخصية المؤلِّف يساعد المترجم على تخيّل عالم المؤلِّف الخاص والإحساس بظروف تجربته وما نتج عنها من انفعالات وعواطف، وليكون من ثم أساس نجاح الترجمة[38]. وتبرز أهمية هذه الروح التقمصية في جواز قيام مترجم واحد بنقل أعمال أدبية لكتّاب مختلفين في أفكارهم وبيئاتهم وأساليبهم. إذ لولا هذه الروح التقمصية لجاءت ترجمات آثار أولئك الكتّاب المختلفين متشابهة في أسلوبها، وهو أمر لا تجيزه حقيقة اختلافهم.

ومثال على ذلك ما نجده من بعض جوانب التشابه في ترجمتيْ عملين لكاتبين مختلفين قام بهما منير البعلبكي، وهما: جين إير Jane Eyre لشارلوت برونتي، والشيخ والبحر The Old Man and the Sea لأرنست هيمنجواي Ernest Hemingway. ولعلّ صعوبة تقمص المترجم لشخصية الكاتب عامة هي التي سوّغت القول بوجوب تخصيص مترجم واحد لترجمة كل آثار كاتب أو شاعر معيّن.

ولضمان تقديم ترجمات جيدة يطلب من المترجم عدم الاعتماد على قدراته الذاتية فقط، بل يجب عليه الرجوع إلى شتى أنواع المصادر والمراجع من معاجم وموسوعات وشروح وتعليقات تتعلّق بالأثر الأَدبي الذي يترجمه. كذلك بإمكانه الرجوع إلى مؤلِّف النص الأصلي نفسه، إذا أمكن ذلك، أو غيره من المترجمين والمراجعين والنقّاد عند الضرورة. وأخيراً يجب ألاّ تكون دوافع مترجم النص الأدبي اقتصادية صرفة، بل يجب أن يكون الدافع في مستوى قيمة الأدب نفسه، وقيمة الأهداف من وراء ترجمته، هكذا يتضح أن مهمة مترجم

(37) See: Nida, Toward a Science of Translating, p. 151.

(38) See: Newmark, Approaches to Translation, p. 54.

النص الأدبي تفوق حدود التعامل مع الكلمات ومعالجة الأساليب والقصص والشخصيات؛ لأنّه في الواقع منشغل بنقل رؤى عالمية واقتناعات ذاتية تنبع من أعماق رجال ونساء اندثروا وآخرين باقين. ويكمن جوهر هذه المهمة في التنقيب عن هذه الرؤى والاقتناعات وإعادة تقديمها، لأنها نابعة من أعماق أصحابها وتُجَسّدها تجسيداً لغوياً جميلاً. وعلى الرغم من ذلك، فإن المترجم عامة عرضة للنقد أكثر من المدح، فهو إن أصاب لا يُذكر وإن أخطأ لا يُنسى.